

قَالَ لِي شَيْخَنَا الذَّهَبِيُّ مَرَّةً

مَنْ فِي الْأُمَّةِ أَفْضَلُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْإِجْمَاعِ

فَقُلْتُ يَفِيدُنَا الشَّيْخُ

قَالَ: عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ مِنْ أُمَّةِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْزِلُ عَلَى بَابِ دِمَشْقٍ وَيَأْتِمُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ بِإِمَامِهَا وَيَحْكُمُ بِهَذِهِ الشَّرِيعَةِ

قُلْتُ: وَهَذَا مَا أَشْرَفَ إِلَيْهِ بِقَصِيدَتِي الَّتِي نَظَمْتُهَا فِي الْمَعَايَا مِنْهَا

(مَنْ بِاتِّفَاقِ جَمِيعِ الْخَلْقِ أَفْضَلُ مِنْ ... شَيْخِ الصَّحَابِ أَبِي بَكْرٍ وَمَنْ عَمِرَ)

(وَمَنْ عَلَيَّ وَمَنْ عُثْمَانُ وَهُوَ قَتَى ... مِنْ أُمَّةِ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرَ)

وَبَعْدَ أَنْ نَظَمْتُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ وَقَفْتُ عَلَى قَصِيدَةِ غِرَاءِ لِبَعْضِ الْأَدْبَاءِ أُحِبِّبْتُ تَخْلِيدَهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَهِيَ

(سَلَا صَاحِبِي الْجَزْعَ مِنْ أُبْرُقِ الْحَمَى ... عَنِ الظُّبْيَاتِ الْخَرْدِ الْأَبْيَضِ كَالدَّمَى)

(وَعُوجَا عَلَى أَهْلِ الْخِيَامِ بِحَاجِرٍ ... وَرَامَةَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَسَلَمَا)

(وَإِنْ سَفَهْتَ رِيحَ الشَّمَالِ عَلَيَّ كَمَا ... وَرِيحَ الصَّبَا فِي أَرْضِهَا فَتَحَلَمَا)

(فَبَيْنَ الْخِيَامِ أَعِيدُ يَخْطِفُ الْحَشَا ... مَرِيضِ جَفُونَ لِلصَّحِيحَاتِ أَسْقَمَا)

(يُرِيكَ الدِّيَاجِي إِنْ عَدَا مَتَجَمَا ... وَشَمْسِ الضُّحَى إِنْ مَا بَدَا مُتَّبِيبَمَا)

(وَيَقْتَرُ عَنِ دَرِّ يَصَانِ بِهَؤُلَاءِ ... وَيَحْرَسُ بِالظُّلْمِ الْمَمْنَعِ وَاللَّمَا)

(كَأَنَّ قَضِيْبَ الْبَانِ فِي مَيْسَانِهِ ... رَأَى قَدَهُ لَمَّا انْتَهَى فَتَعَلَمَا)

(إِذَا الرِّيحُ جَالَتْ حَوْلَ عَطْفِيهِ أَصْبَحَتْ ... تَهَبُ نَسِيمًا مَا أَرَقَ وَأَنْعَمَا)

(يُقَيِّدُ مِنْ تَعْرِيجِهِ الصَّدْعَ عَقْرَبًا ... وَيُرْسِلُ مِنْ رَجَعِ الذُّوَابَةِ أَرْقَمَا)

(لَهُ فِي قُلُوبِ الْعَالَمِينَ مَهَابَةٌ ... تَبْلُغُهُ فِي حَكْمِهِ مَا تَيْمَمَا)

(وَحِنًا إِلَى عَبْدِ الرَّجِيمِ رَكَائِبًا ... تَحَاكِي قَسِي النَّبْعِ فَوْقَ أَسْهَمَا)

(قَتَى جَمَعْتَ فِيهِ الْفَضَائِلَ رَاضِعًا ... وَنَالَ الْعُلَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْكَلَمَا)

(خليفة التقى ترب الوقار مهذب الأخلال ... يرى كسب المحامد مغنما)
(يببت نديما للسماح معاقرا ... ويصيح صبا بالمعالي متيما)
(له خلق كالروض غب سمائه ... تزوع مسكا أذفرا وتبسما)
(إذا جنتماه فامنحاه نجية ... ملوكية أو كبراه وأعظما)
(وقولا له اسمع ما نقول ولا تكن ... ضجورا به مستنقلا متبرما)
(رأيناك في أثناء قولك معجبا ... يكونك أوفى الناس فهما وأعلما)
(فإن كنت من أهل الكتابة واتقا ... بنفسك فيها لا تخاف تهضما)
(فما ألف من بعد ياء مريضة ... مصاحبة عينا تخوفها العما)
(تظن إذا الراوي غدا ناطقا بها ... زمير نعم في الفلاة ترنما)
(وياء إذا مدت غدت غير نفسها ... وصارت حديثا عن جواك مترجما)
(وإن قصرت كانت غرابا بقفرة ... يرود لكي يلقي خليلا وأينما)
(وسينا أضافوها إلى الدال مرة ... فصرخ بالشكوى لها ثم جمجما)
(يخاف إذا ما باح بالقول سطوة ... من الصناد أو غشا من الميم مؤلما)
(وما الكاف إن ردت إلى أصل خلقها ... وما الأقف إن أضحي لها متقدما)
(وسنة أشياخ تخال شخوصها ... إذا عكست نجم الثريا إذا سما)
(وحرمان محسوبان في العد سبعة ... تريك غبار الجو طار ودوما)
(وإن كنت من أهل البلاغة جامع اللغات ... بأنواع الأقاويل قيما)
(فما كلمات هن عرب صرائح ... يعود الفصيح إن شداهن أعجما)
(وإن قلبت أعينهن وصحفت ... ترى مصقعا فيهن من كان أبكما)
(وما السيربان والجوحوة والضفا ... ضفا الدار والسمر الغرانف والهما)
(وما الحمل والتميمات والزام بعده ... وما الجعفریات تنزى وزغلا)
(وما السفح والفرغان والخنق والنقى ... وقف التوالي والهبابة والجمما)
(وما الخيعر المبيثوث والشامخ الذي ... يناط براعون ليصبح معلما)

- (وَمَا الْحَدْبُ الْهَادِي وَمَا أَجْدَبَ الْكَرَى ... وَمَا عَنَجَمَ إِنْ كُنْتَ تَعْرِفُ عَنَجْمًا)
- (وَمَا الزَّبْرَقُ الْمَائِي إِذَا غَابَ نَجْمُهُ ... وَمَا الزَّبْنِيقُ النَّاوِي إِذَا هُوَ أَنْجَمًا)
- (وَمَا الْعَنْقَفِيسُ وَالْمَلَاحِيحُ وَالْكَبِيُّ ... وَطَارِسَةٌ وَالْفَادِحِيَّاتُ عَظْمًا)
- (وَإِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَدْعِي عَرَبِيَّةً ... وَيَحْقِرُ فِي النَّحْوِ الْإِمَامَ الْمَقْدَمًا)
- (فَمَا لُفْظَةٌ إِنْ أَعْرَبْتَ أَصْبَحَتْ لَقَى ... يَعَافُ بِهَا الْمَرْءُ الْبَلِيغُ النَّكَلْمًا)
- (وَإِنْ أَهْمَلَ الْإِعْرَابَ فِيهَا فَمَنْ غَدَا ... بِشَيْءٍ سِوَاهَا نَاطِقًا كَانَ مَفْحَمًا)
- (وَمَا اسْمٌ إِذَا تَنَبَّأَتْهُ وَجَمَعْتَهُ ... تَنَصَّفَ فِيهِمَا رَمْتُهُ وَتَسَهَّمَا)
- (وَحَرْفٌ إِذَا أَعْمَلْتَهُ صَارَ مَعْرَبًا ... وَفَعَلَ إِذَا عَدَيْتَهُ صَارَ مَذْعَمًا)
- (وَمَا حَرْفٌ عَطْفٌ لَيْسَ يُوجَدُ عَاطِفًا ... إِذَا الْمَرْءُ آلَى فِي الْمَقَالِ وَأَقْسَمَا)
- (وَحَرْفَانِ لِلتَّوَكِيدِ لَيْسَا لِحَاجَةٍ ... يَعْدَانِ يَلُ يُرْجَى أَخُو النَّقْصِ مِنْهُمَا)
- (وَمَا مَصْدَرٌ قَدْ أَلْزَمَ الرَّفْعَ دَائِمًا ... وَمَا اسْمَانِ إِنْ فَتَشْتِ بِالْجَرِّ أَلْزَمَا)
- (وَمَا نُونٌ جَمْعٌ تَطْلُبُ الْكُسْرَ شَهْوَةً ... وَتَكْرَهُ أَنْ تَرْقَى إِلَى الْفَتْحِ سَلْمًا)
- (تَرَى الْكُسْرَ غَنَمًا فِي يَدَيْهَا مَحْصَلًا ... وَيَعْتَدُ ذَلِكَ الْفَتْحُ خَسْرًا وَمَغْرَمًا)
- (وَإِنْ كُنْتَ فِي عِلْمِ الْعُرُوضِ وَوِزْنِهِ ... وَجَمَعَ الْقَوَافِي لِلْوَرَى مُتَقَدِّمًا)
- (فَكَيْفَ السَّبَاحُ وَاللَّبَاسُ وَنَافِدٌ ... إِذَا الْبَيْتُ زَادَ الْوِزْنَ فِيهِ وَأَخْرَمَا)
- (وَكَيفَ السِّنَادُ وَالرَّفَادُ إِذَا غَدَا ... بِوَصَلٍ إِلَى أَصْلِ الزَّحَافِ قَدْ انْتَمَا)
- (وَمَا كَلِمَاتُ الْوِزْنِ إِنْ كُنْتَ عَارِفًا ... بِهِنَ وَمَا فَعْلَانُ فِيهِ وَفَعْلَمَا)
- (وَمَا الْهَزَجُ الْمَرْمُولُ إِنْ رَمْتَ شَرْحَهُ ... عَنِ الْقَضِيبِ وَالْبَيْتِ الطَّوِيلِ إِذَا جَمَا)
- (وَمَا الْجَبْتُ فِي بَحْرِ الْخَفِيفِ إِذَا غَدَا ... سَرِيعًا فَلَاقَى جَانِبًا فَتَرَمَرَمَا)
- (وَمَا الْكَامِلُ الْمَحْسُوبُ فِي بَحْرِ الْإِفْهِ ... بِسَيْطَا إِذَا أَضْحَى مَذَالًا مَلْمَلَمَا)
- (وَمَا الْخَبْلُ الْمَطْوِيُّ أَصْبَحَ نَاشِرًا ... إِذَا هُوَ بِالتَّشْعِيثِ صَارَ مَهْشَمًا)
- (وَمَا الْكَفْتُ وَالْقَبْضُ الْمُضَارِعُ مُشْكَلٌ ... بِنَاءِ الْمَدِيدِ بَعْدَ أَنْ يَتَهْدَمَا)
- (وَمَا التَّلْمُ إِنْ رَمْتَ اقْتِرَابَ اتِّفَاقِهِ ... وَمَا الْخَذْفُ إِنْ أَلْفَى بِنَارًا وَأَثْرَمَا)

- (وَإِنْ كُنْتَ فِي نِظْمِ الْقَرِيضِ مَجُودًا ... وَكُنْتَ عَلَيْهِ قَادِرًا مَتَحَكِّمًا)
- (فَكَيْفَ يَكُونُ الرَّفْعُ وَالْقَطْعُ وَاصِلًا ... فَرِيدَ الْمَعَانِي جِينَ أَصْبَحَ تَوَامًا)
- (وَكَيفَ الرَّوْيُ الْمُسْتَقِيمَ وَمَا الَّذِي ... تَقُولُ إِذَا أَنْشَأْتَ تَنْعَتَ عِنْدَمَا)
- (وَكَيفَ تَرَى وَصْفَ السَّحَابِ وَذَكَرَهُ ... إِذَا أَحْفَرْتَ أَهْدَابَهُ وَإِذَا هَمَى)
- (وَوَصَفَ أَثَافِي الدِّيَارِ إِذَا انْطَوَتْ ... مَحَاسِنَهَا وَابْيَضَ مَا كَانَ أَسْحَمًا)
- (وَكَيفَ خُرُوجَ الْمَدْحِ وَالْهَجْوِ بَعْدَهُ ... جَمِيعًا إِذَا كَانَ النِّسِيبُ مَتَمًّا)
- (وَمَا وَصَفَ دُوحَ مَطْمُئِنِّ قَرَارِهِ ... يَرَى مِضْمَحَلًا بِالزِّيَادَةِ وَالنِّمَّا)
- (وَغَادِيَةَ كَالطُّودِ تَحْسَبُ جَرَسَهَا ... جَوَادًا رَأَى الْخَيْلَ الْعَرَابَ فَحَمَحَمًا)
- (تَمِيلُ إِلَيْهَا الْغَادِيَاتُ رَوَاجِيَا ... جَنَاهَا لَتَكْسُوهُنَّ وَشِيَا مَنَمِنَمَا)
- (تَحْطُ بِأُغْوَارِ الْبِلَادِ رَحَاهَا ... وَقَدْ صَافَحَتْ مِنْ قَبْلِ نَسْرَا وَمَرْزَمَا)
- (وَإِنْ كُنْتَ فِي الْقُرْآنِ أَتَقَنَّ حَافِظًا ... وَأَدْرَى بِأَصْنَافِ الْخِلَافِ وَأَفْهَمًا)
- (فَمَنْ جَعَلَ الْأَخْرَابَ تَسْعِينَ آيَةً ... وَزَادَ عَلَى التَّسْعِينَ عَشْرًا فَتَمَمًا)
- (وَمَنْ جَعَلَ الْفُرْقَانَ مِنْ بَعْدِ فَاطِرٍ ... وَصِيرَ قَبْلَ الْكُفْهِ سُورَةَ مَرِيَمًا)
- (وَعَمَّنْ رَوَى ابْنَ الْحَاجِبِيَّةِ وَحَدَهُ ... قِرَاءَتَهُ حَتَّى عَلَى النَّاسِ قَدَمًا)
- (وَمَنْ حَقَّقَ الْهَمْزَاتِ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ ... وَلَيْنَهَا فِي الْعَنْكَبُوتِ وَأَدْغَمًا)
- (وَمَنْ زَادَ فِي مَدِّ الْحُرُوفِ وَهَمْزِهَا ... عَلَى ابْنِ كَثِيرٍ أَوْ أَمَالِ الْمَفْخَمَا)
- (وَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ عَشْرُونَ سَجْدَةً ... وَسَتَ وَيُرْوَى ذَلِكَ عَمَّنْ تَقَدَمَا)
- (وَمَنْ شَدَّدَ النَّوْنَ الَّتِي قَبْلَ رَبِّهِ ... وَخَفَّفَ لَكِنَّ الَّتِي بَعْدَهَا رَمَى)
- (وَمَنْ وَصَلَ الْآيَاتِ جَدًّا لِقَطْعِهَا ... وَوَمَدَّ الضُّحَى مِنْ بَعْدِ مَا قَصَرَ السَّمَا)
- (وَمَنْ حَذَفَ الْيَاءَاتِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ... وَأَنْكَرَ فِي الْقُرْآنِ تَضْعِيفَ رُبَمَا)
- (وَإِنْ كُنْتَ ذَا فَهْمٍ بَدِينِ مُحَمَّدٍ ... عَلَى ذِكْرِهِ صَلَّى إِلَيْهِ وَسَلَمَا)
- (فَمَنْ جَعَلَ الْإِجْمَاعَ فِي الْبَيْعِ حُجَّةً ... وَصِيرَهُ كَالْعَرَفِ ظَنًّا مَرَجَمًا)
- (وَمَنْ رَدَّ مَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَامِدًا ... وَدَانَ بِمَا قَالَ ابْنُ حَفْصٍ تَوْهَمًا)

- (وماذا يرى الثُّعْمَانُ فِي أَهْلِ قَرْيَةٍ ... أَقَامُوا إِمَامًا لِلْأَنَامِ مَجْذِمًا)
- (وَكَيْفَ تَرَى رَأْيَ ابْنِ إِدْرِيسٍ فِي قَتَى ... عَصَى وَغَدَا فِي فَعْلِهِ مَثَأْمًا)
- (وَمَا حُجَّةَ الثُّورِيِّ فِيمَا يَقْبِسُهُ ... إِذَا لَمْ يَثْبُتْ فِيهِ أَصْلًا مُسْلِمًا)
- (وَمَا رَأَى شَيْخَ الْعِلْمِ مَالِكَ فِي أَمْرِي ... تَمَجَّسَ قَصْدًا بَعْدَ مَا كَانَ أَسْلَمًا)
- (يَحِلُّ إِذَا مَا أَحْرَمَ النَّاسَ بِالضَّحَى ... وَإِمَّا أَحَلَّ النَّاسَ بِاللَّيْلِ أَحْرَمًا)
- (وَلَيْسَ بِذِي دَنْبٍ يُقَادُ بِفَعْلِهِ ... وَلَا قِيلَ يَوْمًا قَدْ أَسَاءَ وَأَجْرَمًا)
- (وَإِنْ كُنْتَ فِي حِفْظِ النُّوَابِ أَوْحِدًا ... تَجْمَعُ مِنْ أُخْبَارِهَا وَمَا تَقْسَمًا)
- (فَمَنْ فَرَضَ التَّعْفِيرَ قَبْلَ صَلَاتِهِ ... وَأَوْجِبَ فِي إِثْرِ الرُّكُوعِ التِّيْمَامَ)
- (وَمَنْ جَعَلَ التَّسْوِيرَ فِي الزَّنْدِ شُرْعَةً ... وَمَنْ سَنَّ فِي إِحْدَى الْيَدَيْنِ التَّخْتِمًا)
- (وَمَنْ فَرَضَ الصَّوْمَ الرَّبِيعِينَ بَعْدَ أَنْ ... يَصُومَ جُمَادَى كُلَّهُ وَالْمَحْرَمًا)
- (وَمَنْ حَظَرَ التَّرْوِيجَ إِلَّا بِثِيْبٍ ... وَصِيرَ تَرْوِيجَ الْبِكَارِ مُحْرَمًا)
- (وَمَنْ أَوْجِبَ التَّكْبِيرَ بَعْدَ صَلَاتِهِ ... عَلَى قَوْمِهِ فِيمَا يُقَالُ وَالزُّمًا)
- (وَقَالَ رَكَاةَ الْمَرْءِ مِنْ نِصْفِ مَالِهِ ... تَكُونُ وَإِلَّا صَارَ نَهْبًا مَقْسَمًا)
- (وَمَنْ قَالَ إِنْ الْبَيْعَ لَيْسَ بِجَائِزٍ ... عَلَى الْمَرْءِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَعْسَرَمًا)
- (وَمَنْ طَافَ حَوْلَ الْبَيْتِ سَبْعِينَ مَرَّةً ... يَرَى ذَلِكَ التَّطَوُّفَ فَرَضًا مُحْتَمًا)
- (وَمَنْ فَرَضَ النَّسْلِيمَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ ... وَأَوْجِبَ فِيهَا رِنَةً وَتَرْنَمًا)
- (وَإِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَدْعِي عِلْمَ سِيرَةٍ ... وَحِفْظًا لِأَخْبَارِ الْأَوَائِلِ مُحْكَمًا)
- (فَمَنْ صَامَ عَنْ أَكْلِ الطَّعَامِ نَهَارَهُ ... مَعَ اللَّيْلِ يَطْوِي الصَّوْمَ حَوْلًا مُجْرَمًا)
- (وَمَنْ طَافَ نَحْوًا مِنْ ثَمَانِينَ حُجَّةً ... عَلَى حَاجَةِ لَيْسَتْ تَمَاتِلُ دَرَهْمًا)
- (وَفِي يَدِهِ أَمْوَالُ قَارُونَ كُلِّهَا ... وَنَمْرُودَ كَنْعَانَ وَأَمْوَالَ عُلْقَمَا)
- (وَمَنْ قَطَعَ الْبُحْرَيْنِ فِي بَعْضِ يَوْمِهِ ... وَوَأَصَلَ أَقْصَى الْبُرِّ سَاعَةً أَعْتَمًا)
- (وَمَنْ عَاشَ أَلْفًا بَعْدَ أَلْفِ كَوَامِلٍ ... يَعُوذُ بِدَرِّ الثُّدِيِّ مِنْ خِيفَةِ الظُّمَامِ)
- (وَمَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا الْخُنُونِ بِأَسْرِهَا ... ثَمَانِينَ يَوْمًا بَعْدَ عَامٍ تَصْرَمًا)

(يذبح أولاد الأنام تجبرا ... ويستحي للنسوان منهنم تدمما)

(ومن هاب خوض النيل ساعة زخره ... وخاض سواء البحر والبخر قد طما)

(ومن سار طول الأرض يوماً وليلة ... وعاد على أعقابها ما تلوما)

(لعمرك إنا قد سألناك هينا ... ولم نقصد المعنى العويص المغمما)

(ففكر ولا تعجل بما أنت قائل ... وسر منجدا تبغي الجواب ومتهما)

(فإن أنت فيما قد سألنا بيانه ... أصبت فحق أن تعز وتكرما)

(وإن أنت أخطأت الصواب ولم تجب ... فحقك أن يحثي عنك وترجما)

(فما لك علم بالأمور وإنما ... قصاراك أن تروي كلاما منظما)